

تركيا؛ بيضة القبان

رؤية جديدة

إن سقوط المشروع الإيراني في المنطقة سيكون اللبنة الأولى لمشروع الشرق الأوسط الجديد و
"إسرائيل الكبرى"

كان صباح يوم السبت الموافق ٢٨ شباط الماضي الأهم في تاريخ الكيان الصهيوني المحتل، والبوابة نحو مشروع الشرق الأوسط الصهيوني الجديد، بعد إغتيال الشهيد الخامنئي رضوان الله تعالى عليه. حيث توقع دونالد ترامب و القاتل نتنياهو بأن الاغتيال سيُنهى نظاماً إسلامياً في ايام، ليُشرعوا في الشرق الأوسط الجديد.

قال نتنياهو: بعد سقوط نظام ولاية الفقيه، سنشكل محور إقليمي جديد مكون من إسرائيل وإيران والهند ودول أخرى، أي محور معادٍ لأغلب الدول العربية ودول المنطقة. سيكون محوراً يواجه المحاور المعادية؛ المحور الشيعي والمحور السني الصاعد. يعكس هذا صراعاً أيديولوجياً وجيوسياسياً بين مشروعين؛ محور المقاومة القديم و الشرق الأوسط الجديد، يطمح كل منهما إلى أن يكون القوة المهيمنة في المنطقة.

يرى كل من الكيان الصهيوني المحتل والولايات المتحدة أن هذه الحرب القائمة اليوم تحمل طابعاً وجودياً، ويطمح كل منهما وبشكل صريح إلى تهيئة الظروف من أجل إسقاط النظام الإيراني، وتغييره بنظام موالٍ لهما، مما يتيح للكيان الصهيوني إزالة آخر العقبات التي تعرقل هيمنته على المنطقة، وتحقيق ما يسمى بـ "إسرائيل الكبرى"، لتكون محور الشرق الأوسط.

كما إن إنهاء المشروع الإيراني سيفتح الباب أمام إعادة ترتيب أحادي للمنطقة، كما حدث في تجارب سابقة، وهذا سيُهيئ المجال أمام الكيان الصهيوني لإنهاء أي مشروع نهضوي منافس، الأمر الذي قد يحد من فرص صعود قوى إقليمية ومشاريع عربية وإسلامية جديدة. فإذا تمّ العمل على إنهاء المشروع الإيراني، سيكون الدور غداً على مشروعات أخرى.

ورقة إسلام آباد

لتفكيك الشرق الأوسط الكبير قبل ولادته، سعت باكستان، العدو اللدود للهند، إلى قيادة زمام المبادرة، فدخلت بقوة في معادلة الرهان الأخير، من خلال "مذكرة إسلام آباد".

لا ينبغي النظر لمذكرة التفاهم الأمريكية-الإيرانية على أنها مجرد وثيقة لوقف إطلاق النار أو لتجميد التصعيد في مضيق هرمز فحسب، بل هي مؤشر على ولادة توازن إقليمي جديد تنصدر فيه كتلة إقليمية صاعدة. خلف التصريحات الأمريكية، وخلف الجدل الإسرائيلي، كانت باكستان، والسعودية، وقطر، وتركيا، ومعها مصر بدرجات متفاوتة، تعمل على صياغة تسوية لا تنتهي الحرب فقط، بل تعيد تعريف من يملك حق إدارة ما بعد الحرب أيضاً.

كان يُنظر للمنطقة، طوال عقود، من خلال قُطْبِ ثنائي: إيران ومحورها من جهة، وإسرائيل وحلفائها الغربيين من جهة أخرى. أما اليوم، فيبدو أن كتلة ثالثة تتشكل مستفيدة من تراجع شهية واشنطن للحروب المفتوحة بعد انسحابها من أفغانستان وسوريا وغداً العراق.

هذه الكتلة لا تعرض نفسها بوصفها مشروع مواجهة أيديولوجية، بل كإطار براغماتي لإدارة التوازنات، واحتواء الفوضى، وملء الفراغ الذي خلفه الانكشاف الأمريكي التدريجي في الشرق الأوسط.

لم تكن مهمة مذكرة إسلام آباد نقل رسائل بين واشنطن وطهران، بل هندست عملية تسوية عجزت دول العالم تقديم مثيلتها، فيما وفرت قطر قنوات الاتصال الحساسة، وأسهمت السعودية، وتركيا، ومصر في الضغط السياسي الإقليمي الذي جعل استمرار الحرب أكثر كلفة من إنهائها. لم يكن دور تلك الدول مختزلاً بخفض التصعيد، بل خلق بنية نفوذ جديدة كإعادة الإعمار، وطرق التجارة، والضمانات الأمنية، وترتيبات الطاقة. لذلك سعت تلك البلدان إلى أن تكون داخل مطبخ الصياغة منذ البداية، لا عند مرحلة التنفيذ فقط، حتى تتحول من وسيط مؤقت إلى طرف مؤسس للنظام الإقليمي اللاحق، والذي سيكون بديلاً عن الشرق الأوسط الجديد.

يعكس هذا التوجه ملامح جديدة يعززها الاتفاق العسكري الباكستاني - السعودي، مع دعوات باكستانية لضم تركيا وقطر إلى ترتيبات أمنية أوسع، وقد يتحول هذا التكتل إلى ولادة "ناتو إسلامي" إن صح التعبير. كل المؤشرات تبين أن المنطقة تشهد محاولة فعلية لبناء مظلة أمنية تتجاوز الطابع الثنائي أو الظرفي للتحالفات السابقة.

الدور التركي الجديد

منذ عقود، تحاول تركيا الهيمنة على منطقة الخليج الفارسي و بلاد الشام، حتى وصلت إلى مراحل متقدمة لتحقيق حلمها، وهي تتلقى دعم أمريكي لا محدود، و تحجيم دور ايران في المنطقة، من سوريا إلى العراق.

رغم التفاهات السياسية والاقتصادية بين انقرة وطهران، إلا أن الأولى بدأت تقضم من جرف الثانية.

رَفَعَ ستار زيارة دونالد ترامب لأردوغان الأسبوع الماضي المخطط الأمريكي الجديد، لتكون تركيا هي قطب الرحي فيه، ثم تبتعتها زيارتان نادران لأنقرة؛ الرئيس السوري و رئيس وزراء لبنان.

كانت أهم مخرجات لقاء ترامب بأردوغان:

١- موافقة ترامب على بيع طائرات "إف-٣٥" لتركيا

٢- إعلان ترامب رفع العقوبات عن تركيا مقابل تخليها عن نظام صواريخ "إس-٤٠٠" الروسية لصالح الإمارات.

يضاف لها، هو تكليفها بإنجاح خطة الشرق الأوسط الجديد، في قبال السماح لمرتزقة احمد الشرع اجتياح لبنان ونزع سلاح حزب الله.

ولكي تمتلئ سلّة أنقرة، دعا أردوغان احمد الشرع، وعلى عُجالة، للقاء ترامب قبل رجوعه إلى امريكا، فلم تكن زيارته في جدول أعمال حلف الناتو في أنقرة.

إلتقى احمد الشرع بالرئيس الأمريكي، حيث طلب ترامب، أمام الملأ، بحث إمكانية قيام دمشق بدور محوري في "ملف التعامل مع حزب الله"، ومساعدة واشنطن في مجابهة الأنشطة المرتبطة به.

ثم جاءت زيارة رئيس وزراء لبنان إلى أنقرة في اليوم التالي من زيارة احمد الشرع. تندرج زيارة نواف سلام في إطار مساعي بيروت لتدعيم الموقف الدبلوماسي اللبناني وضمان استقلالية القرار في ظل مفاوضات وقف إطلاق النار.

يمكن تحميل عبارة "ضمان استقلالية القرار" أوجه متعددة؛ الأخطر فيها ان المعني هو حزب الله!

يحاول نواف سلام استمالة أردوغان، بحكم علاقته مع ترامب، في الضغط على اسرائيل بالانسحاب من لبنان، بعد ان فشل رئيس الجمهورية اللبنانية في مسعاه من واشنطن، لإخراج جيش الكيان الصهيوني من جنوب لبنان، واستبدال الدور الباكستاني بالوسيط التركي للقيام بهذا الأمر.

لاستكمال الدور التركي في لبنان، كشفت تقارير صحافية، أن أنقرة تطرح تقديم دعم عسكري وسياسي واسع للجيش اللبناني، لتمكينه من ضبط الاستقرار. كما تحدثت عن استعداد تركي محتمل للمشاركة بقوة عسكرية كبيرة ضمن قوة دولية مقترح نشرها في جنوبي لبنان، كبديل عن قوات "اليونيفيل"، لضمان تطبيق اتفاق وقف إطلاق النار واحتواء أي تصعيد عسكري يقوده حزب الله.

لم يقتصر موقف تركيا على احتواء حزب الله، بل دعت إلى تحالف يضمّ السعودية ومصر وقطر لمحاصرة استقلالية سلاح حزب الله وحصر سلاحه بأيدي المؤسسات الرسمية، وهذا هو الملف الأهم الذي ناقشته نواف سلام مع أردوغان.

التغيرات الجيوسياسية في المنطقة، مع دعم أمريكي مطلق لتركيا، ستفتح المجال أمام تمدد تركي كبير، سيمتد من العراق إلى لبنان، مروراً بسوريا، وستشمل ملفات إقتصادية وأمنية، غايتها عزل إيران عن المنطقة، وتقطيع أوصال محور الممانعة، والذي سيمهد لولادة نفوذ تركي برعاية أمريكية، بما يخدم المصالح الأمريكية. يعتقد ترامب أن تفويض النفوذ الإيراني يتحقق بالتوسع الاقتصادي التركي بالمنطقة.

دور العراق في المخطط؟

خلال زيارة رئيس وزراء العراق، السيد علي الزيدي، إلى البيت الأبيض، لقيَ ترحيباً دافئاً قلّ نظيره، حيث جمع بين عقلية ترامب الاستحواذي القائمة على الصفقات التجارية والاستثمارية، واستمالة ايران بإخراج القوات الأمريكية من العراق بحلول نهاية أيلول، ليكون له مبرر في نزع سلاح الفصائل في العراق.

طرح السيد الزيدي إنشاء صندوق عراقي - أميركي للطاقة والتنمية، يُموّل من عائدات النفط ما يعادل ٥٠٠ ألف إلى ٢ مليون برميل من النفط يومياً، وتودع أمواله في مؤسسات مصرفية أميركية.

كما أعلن السيد الزيدي عن تأسيس صندوق استثماري عراقي - تركي مشترك يهدف إلى تمويل المشاريع الاستراتيجية والتنمية الكبرى في العراق، ما يفسح المجال أمام الشركات التركية للهيمنة على قطاع البنية التحتية، وتأمين ملفات الطاقة والربط الإقليمي مع أنقرة، كبديل آمن لتنويع ممرات النفط والغاز، وهو ما يتماشى مع رغبة تركيا في التحول إلى مركز رئيسي لإمدادات الطاقة نحو أوروبا.

سيكون مشروع طريق التنمية العراقي قلب الشرق الأوسط الجديد، فهو ليس مجرد طريق تجاري، بل هو أداة لإعادة رسم الخرائط السياسية، وإضعاف إيران في قبال تقوية المشروع التركي، حيث ستكون تركيا "الممر الإجباري" للطاقة والتجارة بين الشرق والغرب، مستغلاً الغطاء الأميركي وحاجة حكومة بغداد الحالية إلى الاستقرار المالي.

كما سيكون طريق التنمية البديل الاستراتيجي للنقل بعيداً عن إيران، وشریان للطاقة والاتصالات، دون المرور بالأراضي الإيرانية، و تنشيط المناطق الصناعية واللوجستية في جنوب و جنوب شرق تركيا لمنافسة البضائع الإيرانية، وهذا سيؤدي إلى تراجع تدريجي للنفوذ الإيراني، وصعود قوي للمصالح والترتيبات الاستراتيجية التركية، ما يفسح المجال أمام أنقرة لتكون الشريك التجاري والأمني الأكثر استقراراً لبغداد، وسيحقق كل ذلك على يد السيد علي الزيدي.

علاوة على ذلك، وقّعت حكومة السيد الزيدي مع حكومة احمد الشرع اتفاقية لإعادة إحياء مشروع خط نقل النفط (البصرة - بانياس)، لربط حقول النفط في جنوب العراق بميناء بانياس السوري على البحر المتوسط، ضمن سعي ترامب بإنعاش الاقتصاد السوري ودعم احمد الشرع، وهذا سيساعد على تنفيذ خطة الشرق الأوسط الجديد.

جميع تحركات السيد الزيدي، و بتوجيه أمريكي، يحاول من خلالها ترامب إعادة إحياء مخطط الشرق الأوسط الجديد الذي فارق الحياة بصمود إيران، من خلال ربط اقتصادات المنطقة بمنظومة واحدة، ثم تدخل إسرائيل تلك المنظومة في آخر المطاف.

الخاتمة

بعد أن فشلت أمريكا وإسرائيل بإسقاط النظام الإيراني، يتزاحم طرفا الصراع الأيديولوجي المتمثل بالشرق الأوسط الجديد وتكتل إسلام آباد على أنقرة.

يحاول ترامب استمالة تركيا بجعلها محور المنطقة من خلال ربط اقتصادات دول المنطقة (تركيا وسوريا و الأردن والعراق)، على أن يكون العراق الراعي الاقتصادي لهذه المنظومة لإفشال التكتل الجديد (باكستان وتركيا ومصر والسعودية وقطر)، في الوقت ذاته، ترى باكستان إسلامية تركيا وحجمها الجيوسياسي وثقلها الاقتصادي سيكون لها دوراً رائداً في التكتل الجديد.

العامل المشترك في كلتا الخطتين هو تركيا، وهذا ما دفع ترامب لرمي كل ثقله في انقرة الأسبوع الماضي، وإعطاءها الدور المحوري في رسم السياسة الاقتصادية للدول المجاورة لها.

هل سيصمد أردوغان أمام عطايا ترامب لانجاح مشروع الأخير؟

من هنا، ينبغي على الدولة المعنية، العراق، أن لا ينخرط بالمحور الأمريكي الجديد الذي يحاول قبر التكتل الجديد (باكستان وتركيا ومصر والسعودية وقطر) قبل أن يرى النور، وعلى السيد الزيدي أن يتوقف عن رمي العراق ومقدراته في سلّة واحدة، والتفكير ملياً بالتكتل الجديد.

تركت تركيا الباب إلى إيران مفتوحاً، بعد ان أعلنت انها ستشارك في قمع الأكراد الانفصاليين الإيرانيين يوم أمس، في إشارة إلى الشراكة الأمنية بين أنقرة وطهران.

ينبغي على إيران توظيف ذلك لصالح أمنها القومي أولاً و وضع الخشبة في الدولاب الأمريكي ثانياً، والدخول في التكتل الجديد لإنشاء "الناتو الإسلامي".